

مقاربة القصور الصحراوية بين البيئة والحاجة الاجتماعية Approach study of Saharan K'sours between environment and social need

محمد خبيزي^{1*} ، محمد الأبيض²

¹ مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة - الأغواط - m.khobeizi@crsic.dz

² جامعة تامنغست - mohamedlabiad@univ-tam.dz

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/12/01

تاريخ الإستلام: 2024/10/31

الملخص

تمثل القصور الصحراوية تراثا معماريا متميزا، فهي نتيجة لتفاعل مجموعة من العوامل منها الطبيعية والفكرية والاجتماعية، والتي كونت لنا نمطا معماريا مهما في الجنوب الجزائري، فهي نتاج تفاعل الإنسان مع البيئة الصحراوية، حيث دفعته الحاجة إلى ضرورة الاستقرار والتعايش في هذه المناطق القاسية، ومع مرور الزمن تكونت لنا عمارة تقليدية أدت وضائف حضارية هامة لا يمكن أن يغفلها التاريخ، وفي هذه المداخلة سنتناول العلاقة التفاعلية بين العمارة والأبعاد الاجتماعية والفكرية في القصور الصحراوية الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: القصر، الصحراء، العمارة، التراث، العمران.

Abstract

The Saharan K'sours represent a unique architectural heritage, which is the result of a series of interacting factors, including natural, intellectual, and social factors, that have shaped our important architectural style in southern Algeria. It is a product of human interaction with the desert environment, driven by the need for settlement and coexistence in these harsh regions. Over time, traditional architecture has developed and played an undeniable role in civilisation that cannot be ignored in our history. In this intervention, we will discuss the interactive relationship between Algerian Sharan K'sour architecture and social/ intellectual dimensions.

Keywords: K'sours, Sharan, architecture, heritage, urbanism.

1. مقدمة

تعتبر القصور الصحراوية من أهم أنماط العمارة في الجزائر، بل إن هذا النوع من العمارة من خلال المظهر الخارجي والشكل العام هو الميزة والسمة البارزة لعمارة تتأسست مع مجالها الجغرافي بكل ما يحمل من ظروف طبيعية، والقصور الصحراوية التي بنيت بمواد طبيعية من هذا المحيط الجغرافي وبطرق ووسائل محلية أيضا، هي إبداع عمراني محلي للمنطقة الصحراوية الجزائرية.

ولم تكن المنطقة الصحراوية في منأى عن الأحداث الجارية في المناطق الشمالية بل كانت غالبا مناطق امتداد وحركة، والكثير من المناطق الصحراوية خاصة منها الواحات، كانت مراكز للتبادل التجاري ومحطات استراحة للقوافل والحجيج.

وقد كانت القصور الصحراوية محل اهتمام الرحالة والجغرافيين لقيمتها ودورها الحضاري، وكانت محل اهتمام المؤرخين والمهتمين لما حوته الكثير منها من خزائن للمخطوطات، خاصة وأن بعض القصور عرفت بإشعاعها العلمي كقصر عين ماضي معقل خلافة الطريقة الصوفية التيجانية.

ومن بين أهم الميزات العمرانية للقصور الصحراوية، وإذا أجرينا دراسة تنميطية ومقارنة عمرانية بين مجموعة قصور من مناطق صحراوية مختلفة، فإننا نخلص إلى صورة تكاد تكون موحدة عن نمطها العمراني وتخطيطها العام، عدا بعض الاختلافات الخفيفة للضرورة أو الحاجة لقصر دون غيره، غير أنها لا تخرج عن الشروط العامة للمدينة الإسلامية بما تحمله من معنى، وتستجيب لمتطلبات العيش الآمن والاستقرار، بل حتى أفقا للتطور والتماشي مع ما يحدث خارجها.

ويشكل المجال الصحراوي بيئة ملائمة للتأثير في تشكيل الحياة الاجتماعية والذهنية والنفسية، فطبيعة الصحراء تعارض الاستقرار وتكرس الحركة والترحال المستمر، وقد استطاع إنسان المغرب منذ القديم أن يكيف جغرافية المنطقة الصحراوية، بما تحمله من مكونات تتمثل في طابع القصور والأريطة والواحات، والتي انتشرت كثيرا في مناطق المزاب، وورقلة وواحات وقصور رينغ وسوف ببلاد المغرب الأوسط في العصر الوسيط.¹ فتكوين تلك القصور الصحراوية لم يكن وليد الصدفة أو عمارة عبثية فوضوية لفترة مؤقتة، بل نراه عملا حضاريا امتد تأثيره على مر أزمنة طويلة، وهذا ما وصل إلى إنتاجه المعماري الصحراوي سعيا للاستقرار، وقد خضعت عمارة القصور لمجموعة من الاعتبارات سواء الطبيعية أو التر فرضتها الجماعة أو الإيديولوجية الفكرية للمنطقة الصحراوية، وسنحاول أن نتناول مجموعة من الاعتبارات، والتي نذكرها على النحو التالي:

¹ الطاهر طويل، عمارة القصور ببلاد المغرب، قراءة في التطور التاريخي في العصر الوسيط، أشغال الملتقى الوطني قصور الأطلس الصحراوي - تأثير متطلبات التحديث والحفاظ على الموروث المعماري والثقافي، 27 أكتوبر 2021، مخبر التمكين الاجتماعي والتنمية المستدامة في البيئة الصحراوية، جامعة الأغواط، ص 6.

2. عرض

1.2 الاعتبارات الطبيعية في عمارة القصور الصحراوية :

من المعروف أن العمارة تتأثر بالمناخ الطبيعي للمنطقة، فهي الواجهة المباشرة التي يصنعها الإنسان لمواجهة الظروف الطبيعية المختلفة، بالإضافة إلى أن المادة الطبيعية المستخدمة في البناء هي ذاتها أداة لمواجهة عوامل المناخ على اختلافها، ومن جهة أخرى فإن التخطيط المعماري هو وليد التجارب المتراكمة، وهو ما جعل من المعماري خبيراً بالظروف الطبيعية ليعمل على التكيف معها من خلال مجموعة من التقنيات المدروسة التي تساعده على التكيف والاستقرار، أي أن أهم الاعتبارات الطبيعية هي البيئة الصحراوية التي فرضت على الإنسان الابتكار والتعلم من الخبرات ليتمكن من الاستقرار وذلك من خلال "التخطيط" والذي تظهر علاقته بالبيئة فيما يلي:

البيئة والتخطيط العام للقصور :

العمارة هي فن البناء حسب تعريف القاموس، وبذلك فهي من الناحية التحليلية تعتبر فناً وعلماً، ولكن بالنظر التكاملية تعتبر فناً، وما العلوم الهندسية والتقنية سوى أنها من وسائل التنفيذ، لذا إن العمارة هي التي تأوي الإنسان ونشاطه في المجالات الروحية والمادية كافة على المستويات الفردية والجماعية من وقت أن يولد إلى أن يموت، فهي تشمل جميع المباني الدينية والدنيوية، الحضرية والريفية، السكنية والعامة، الثقافية والتجارية إلخ²، أي أن العمارة كما هو معروف مرآة للحضارة ومجمع للفنون، فيها يقاس التقدم والتحضر والتمدن، ومن دونها ربما لا يمكن الاستقرار ولا القرار، غير أنها تختلف من منطقة لأخرى حسب الطبيعة الجغرافية وحسب المناخ السائد في المنطقة، فما يكون من عمارة في الساحل لا يمكن أن يكون نفسه في المناطق الداخلية أو الصحراوية، لاختلاف المناخ واختلاف المواد المستعملة بل والمتوفرة أساساً، لأن العمارة ترتبط بالضرورة بالمحيط الطبيعي أولاً ثم لتتأثر بالمحيط الفكري.

ونحن بصدد دراسة موضوع متعلق بالقصور الصحراوية بالصحراء الجزائرية، فإننا نتحدث عن بيئة طبيعية قاسية على عديد من الجوانب، فمن ناحية المناخ، فيتميز مناخ المناطق الصحراوية بالارتفاع الكبير في درجات الحرارة في فصل الصيف، حيث ترتفع النهاية العظمى للحرارة في الظل إلى 45⁰ وقد تصل إلى 50⁰، أما النهاية الصغرى في الليل فلا تتخفض عن 20⁰، ويساعد على تطرف المناخ من جهة الصحاري قلة السحب وانعدام الغطاء النباتي تقريباً، ومن ثم ارتفاع كثافة الإشعاع المباشر الساقط على هذه الجهات وارتفاع كثافة الإشعاع الأرضي أثناء الليل، هذا بالإضافة إلى

² حسن فتحي، العمارة والبيئة، دار المعارف، القاهرة، ص 11.

انخفاض كمية ونسبة الرطوبة في الهواء حيث تتراوح الرطوبة النسبية ما بين 20% في فترة الظهيرة إلى أكثر من 40% في الليل.³

ومن مختلف الأوساط التاريخية التي تحدثت عن القصور والمدن الإسلامية فإن القصور الصحراوية تمتاز بتشابه كبير مع المدن الإسلامية نظرا لتشابه ميزات المجال المبني والهيكلية العمرانية وهذه المميزات المشتركة تتمثل أساسا في تشابه التجهيزات المركزية والمكان المركزي الذي يتمحور حول المسجد أو الجامع الكبير، ومن أوجه التشابه تركز السوق الرئيسي أيضا في وسط المدينة على غرار الحوانيت والمتاجر ومراكز الصناعات التقليدية.⁴ فالقصور الصحراوية التي تتميز بتوفر كل الضروريات العمرانية التي توفر الأمن والاستقرار، بداية بالسور الخارجي الذي غالبا تتخلله مجموعة من البوابات الرئيسية المؤدية إلى الشوارع الأساسية التي تؤدي بدورها إلى المسجد الجامع، هذا الأخير الذي يعتبر نواة القصر ومنه تتفرع الشوارع والممرات العامة، فهذا التدرج العمراني يمثل - إن صح القول - تدرجا هرميا ينطلق من القمة التي هي المسجد ليصل عبر الشوارع الرئيسية إلى الساحات والمرافق العامة، مروراً بالدور والبيوت والمساكن، وصولاً في الأخير إلى الأسوار الخارجية التي تعلوها أبراج للمراقبة تستعمل حالات السلم للمراقبة، وفي حالات الحرب تستعمل للرماية والدفاع عن القصر وساكنته.

أما من الناحية الطبوغرافية فتشترك القصور في كثير من مرافقها مع تكوين المدينة الإسلامية القديمة، فمثلا نجد:⁵

- بناءها بمحاذاة الطرق التجارية
- قربها من الأودية والمجاري المائية
- التحصين الداخلي والخارجي
- الاشتراك في عنصر الماء
- قربها من الأراضي الزراعية والملاصقي وأماكن الاحتطاب

³ لعمودي التجاني، الاستدامة في العمارة الصحراوية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي: تحولات المدينة الصحراوية - تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسة الحضارية، ص 240.

⁴ شويشي زهية، مجتمع القصور - دراسة في الخصائص الاجتماعية والعمرانية والثقافية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006/2005، ص 63.

⁵ عليق ريحة، قصر ملوكة، رسالة الماجستير، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص 42.

وضمن التخطيط العملي الذي يلبي ضرورة التكيف مع المناخ، عالجت الضوابط الفقهية تخطيط شبكة الشوارع والطرق بمراكز العمران الإسلامية، وكان التخطيط الشجري الذي يتضمن شارعاً وطرق نافذة جانبية أقل اتساعاً، وتمثل هذه النوعية الطرق العامة، كما توجد طرق فرعية أخرى غير نافذة لها دروب تمثل نوعية أخرى من الطرق، وهي الطرق غير النافذة.⁶ كذلك كانت الشوارع بالقصور الصحراوية كثيرة التعرجات والانكسارات وذلك لتوفير الظل وكسر حركة الهواء المحمل بالرمال، وكانت الشوارع الضيقة تسقف ذلك لتوفير الظل والهواء البارد لمداخل المنازل خاصة بالصيف.⁷ وهو ما يسمى بالسباط.

في حين أن هناك من يرى أن التشكيل العام للقصر كان عملاً معمارياً تكون نتيجة تراكمات فردية دون تنسيق مسبق أو غاية جماعية، حيث ظهرت التشكيلات المعمارية على مستوى التخطيط بصورة عفوية وتلقائية دون الارتباط المسبق باعتبارات تشكيلية أو معمارية معينة، وبذلك أصبحت العمارة التقليدية تعبر بصدق عن الوظيفة والبيئة الطبيعية والثقافية والاجتماعية السائدة، وقد استطاعت هذه العمارة التوصل إلى حلول معمارية سليمة كفيلة بتحقيق الحماية من العوامل الجوية الشديدة القسوة، فظهرت المباني الملتحمة أو شبه الملتحمة في نسيج عشوائي وتلتف حول الفراغات الداخلية لأفنيئها مما يوفر أكبر مساحة مظلة، إذ يعتبر تكامل الفراغات وتداخلها من أهم القيم التخطيطية والتصميمية للعمارة التقليدية وخاصة في المباني السكنية.⁸

أما المسكن التقليدي فهو يختلف في مخططه عن المخططات في البناء المعروفة، وهذا راجع لملائمته لحياة أفراد اليومية وعادة ما يتوفر على تجهيزات تلائم طبيعة الحياة لأفراده والحياة القاسية حيث أنها تقوم على نفس المميزات وتقوم بنفس الأدوار وتستعمل في مجالات متقاربة بين السكان وهو مجال للاستراحة والترفيه ويقوم فيه الفرد بنشاطات يختارها لاسترجاع قواه الضائعة من خلالها.⁹ حيث تميزت البيوت في القصور الصحراوية بالبساطة والواجهات الصماء عدا بعض الفتحات الضرورية للميازيب أو لكوات ضيقة تعلو الجدران أحياناً، فالمساكن هنا موجهة إلى الداخل أي إلى صحن البيت، وتميزت غالباً بالمدخل المنكسر في شكل الحرف اللاتيني (L) وذلك حفاظاً على خصوصية المسكن حال فتح الباب، ويفضي المدخل المنكسر إلى الصحن المكشوف والذي يميز الفضاء المفتوح للتهوية والإضاءة وتمارس فيه نشاطات العائلات، والذي تحيط به الغرف والحجرات والمخزن والمطبخ، وفي صورة عامة عن البيت في القصور الصحراوية، فإنه مسكن متكامل به كل الضروريات المعاشية وتتوفر به كل وسائل الراحة للعائلة.

⁶ محمد عبد الستار عثمان، فقه العمارة الإسلامية، مرجع سابق، ص 6.

⁷ هبول حنان، إعادة تأهيل القصور الصحراوية "قصر عين ماضي نموذجاً" مدرسة الدكتوراه: الإنسان والمحيط: دراسة أثرية وقياسية، جامعة الجزائر 02، 2010-2011، ص 21.

⁸ لعمودي التجاني، المرجع السابق، ص 242.

⁹ شويشي زهية، المرجع السابق، ص 70.

- مواد وتقنيات البناء:

أ - مواد البناء

بخصوص مواد البناء في القصور الصحراوية، فيرجع استخدام التراب والعمارة الطينية عموماً إلى قديم الأزل، ونلاحظه في العمائر المنتشرة عبر العالم عموماً والجزائر خصوصاً، لتوفر هذه المادة واستخدامها من طرف كل فئات المجتمع على حد سواء، لعدم تكلفتها وكذلك خصائصها ومميزاتها التي جعلت منها المادة الأولية الأساسية للبناء، خاصة بالمناطق الحارة لقدرتها على تحمل تفاوت درجات الحرارة والبيئة المناخية الصعبة، وقد شكلت هذه القصور كل أنواع العمارة الصحراوية سواء كانت مساكن مدنية المتمثلة في البيوت والقصور، أو دينية كالمساجد والزوايا، أو عسكرية كالحصون والقلع.¹ حيث ظهر مصطلح العمارة الطينية والتي لا تتكون من الطين فقط بل هي المادة الغالبة في الاستخدام، وما هو معروف في القصور الصحراوية هو استخدام مجموعة من المواد والتي نذكر أهمها على النحو التالي:

- الحجارة: والتي تستعمل في أساسات الجدران وفي بناء الأسوار الخارجية أو الدفاعية، كما وجدنا استخدامها في جدران بعض البيوت.

- الطوب: وهو مجموعة القوالب المصنوعة من الطين تضاف له مجموعة من الشوائب ليتماسك ويقوى بعد ان يخلط بالماء ويعرض للشمس حتى يجف، ويستخدم في بناء الجدران.

- الخشب: والذي يستخدم للتسقيف ولصناعة الأبواب والنوافذ

ب - تقنيات التخطيط والبناء

تميزت القصور الصحراوية بمجموعة من التقنيات في أعمال البناء والتي يمكن أن لا نجدها في المناطق الأخرى، وذلك استجابة لمناخ المنطقة الذي يحتم مجموعة من التقنيات العملية والتي نراها علمية من حيث نتائجها وديمومتها بل ومن حيث فاعليتها كذلك، ويمكننا أن نلخص أمثلة حول بعض التقنيات التي وجدناها في كثير من القصور الصحراوية خلال زيارتنا الميدانية إليها، منها:

- اعتماد الشوارع المنكسرة للتقليل من درجة الرياح

- اعتماد - الساباط - وهو الممر المسقف للتقليل من درجة الحرارة

- اعتماد الصحن وسط البيوت للتهوية والإضاءة وتعديل الجو داخل الدور

- اعتماد المدخل المنكسر للحفاظ على خصوصية المسكن من جهة بالإضافة إلى علاقة الجو الخارجي بالصحن
- اعتماد العوارض الخشبية بالجدران لامتصاص الرطوبة ولتفادي تضرر الجدران في حال احتمال وقوع هزات
- اعتماد الأقواس في تسقيف المساحات الواسعة لتوزيع الثقل
- اعتماد الدعامات أكثر من الأعمدة لقدرتها على التحمل أكثر

1.2 الاعتبارات الاجتماعية :

كان للتعاليم الدينية أثر بالغ وجلي في عمارة المجتمع الإسلامي، ويتضح ذلك في العمارة الإسلامية على مر العصور والتي كانت متمسكة بأحكام الدين الإسلامي ومبادئه انطلاقاً من أن المصدر الرئيسي للتشريع هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكانت الخصوصية كملح ديني مهم واجتماعي أيضاً، ذات أثر واضح في تشكيل التجمعات العمرانية بصفة عامة، والمنزل وتشكيله الخارجي والداخلي بصفة خاصة، فقد كانت الخصوصية إحدى العوامل المهمة في تجسيد المجال المعماري المتمثل في المسكن، والمجال العمراني الذي تمثله الأزقة والحارات متدرجة من الخاص إلى العام.¹⁰

وقد مثل فقه العمارة الإسلامية المضلة القانونية لكل ما تعلقة بالعمارة والعمران في مختلف المناطق الإسلامية، على غرار القصور الصحراوية الجزائرية، بل وحتى ألفت فيه مجموعة من الكتب التي تناولت النوازل المختلفة في هذا المجال خاصة في ما تعلق بالجدران والأسقف ومسائل الاشتراك فيها وغيرها من النوازل المتعلقة بالعمران. ومن جملة الأحكام التي تناولها الفقهاء الأوائل في أحكام البنيان كأحكام: أبواب البيع والإجازات والشفعة والقسمة والصلح والغصب وكذا الدعاوي، وإحياء الموات ونحوها.¹¹ ويمكن أن نذكر ما تعلق مباشرة بأعمال البناء في:

- أحكام ضرر الكشف: وتناولت أحكام علو الحيطان و المآذن والنوافذ وتقابل الأبواب والحوانيت.
- أحكام ضرر الدخان: وتناولت أحكام الضرر الناتج عن دخان الأفران أو الحمامات على ساكنة القصر.
- أحكام ضرر الرائحة: وتناولت أحكام ضرر الرائحة التي يمكن أن تنبعث من المدابع أو من قنوات التصريف أو من الاصطبلات.

- أحكام ضرر الصوت: وتناولت أحكام ضرر الفوضى الناتجة عن المطاحن أو الأسواق وما شابهه.

¹⁰ ربيعة سويقات، خصائص العمارة التقليدية الصحراوية، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، ص 790.

¹¹ حسام الدين عمر بن عبد العزيز بن مازة البخاري، كتاب الحيطان، تحقيق: عبد الله نذير أحمد مزي، المكتبة المكية، مؤسسة الريان - ناشرون -، بيروت، ط01، 2014، ص 28.

- السلوكيات الاجتماعية:

يستمد النسيج المعماري للقصور الصحراوية مميزات من العوامل المناخية للمناطق الصحراوية، ومن التقاليد الحضارية والعوامل الاجتماعية السائدة بالمنطقة وجلبها منبثقة من الدين الإسلامي الحنيف الذي يدعو إلى الحرمة والحشمة واحترام الجار.¹² وكما يذكر الدكتور عبد الباقي ابراهيم في كتابه: "رحلة البحث عن الذات وأصول العمارة في الإسلام" أن التعمير من مسؤوليات الفرد القادر على ذلك والمجتمع الذي يهيئ له السبيل إلى ذلك فيما يسمى بالخطط الإرشادية التي تحدد فيها الطرق والمرافق والخدمات العامة في ظل الشروط البيئية التي تستند إلى المبدأ الإسلامي لا ضرر ولا ضرار، والتعمير يصحبه الإستيطان البشري في التجمعات العمرانية الجديدة مرتكزا على مبدأ التوازن والتكافل الاجتماعي بين الطبقات والجمع بينها في العمران دون تفرقة أو طبقية أو تمييز. وكل هذا يثبت لنا أهم ميزة في عمارة القصور الصحراوية وهي " العضوية " حيث تتأثر المدينة بسكانها وتحمل المجتمع كالجسد الواحد المترابط الأعضاء والمتكامل الوظائف.¹³ حيث لم تكن العلاقة بين المباني علاقة جامدة، بل دخلت أيضا في تحديد سلوك الساكنين للعقارات، وضرورة احترامهم الآداب العامة، وكان من حق الجيران إجبارهم على ذلك، عن طريق القضاء، وتزخر سجلات المحاكم الشرعية بالعديد من الوقائع التي تؤكد تضامن أهل الخطة أو الحارة ضد المخالفين من سكانها وترتب على مبدأ "لا ضرر ولا ضرار" والأخذ بالعرف" في تقرير أحكام البناء، نشوء مبدأ "حيازة الضرر"، الذي صاغ المدينة الإسلامية صياغة شاملة.

ويتبين لنا من خلال الدراسة المعمقة للقصور الصحراوية المنتشرة في الصحراء الجزائرية، خاصة إذا تمت الدراسة وفق تقاطع مجموعة من التخصصات التي يمكن أن تبني لنا صورة كاملة نسبيا حول ماهية القصر، والذي يمكن أن نقول عنه كيان عمراني واجتماعي وسياسي يخدم إنسان المنطقة في ظل الظروف المناخية الصعبة وفي كل الأوقات سواء أوقات السلم أو في حالات الحرب، أي أن هذا الكيان العمراني قد تماشى واحتياجات سكانه، ويظهر ذلك من خلال مجموعة من القيم الدينية والاجتماعية التي يمكن أن نستخلصها من خلال هياكله العمرانية وخطة بنائه تتمثل في:

- يمثل القصر مركزا حضاريا ومدنيا للساكنة حيث تمارس فيه كل النشاطات اليومية دون تمييز بينهم وفق ما يتطلبه الوضع حالات السلم وحالات الحرب.

¹² هبول حنان، إعادة تأهيل القصور الصحراوية " قصر عين ماضي نموذجا"، مدرسة الدكتوراه الإنسان والمحيط، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2010/2011، ص 20.

¹³ عبد الباسط هويدي، فتحة زايدة، التراث العمراني الصحراوي والهوية الثقافية للقصر العتيق بمدينة ورقلة، مقاربة سوسيو ثقافية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الملتقى الدولي: الدراسات التاريخية والمعالم الأثرية القديمة، ص 203.

- يمثل المسجد مركز الحل والربط للجماعة داخل القصر وفيه تعالج كل الأمور المدنية والسياسية بمختلف أشكالها، كما يبين توسطه القصر قيمته الروحية داخل المجتمع القصورى
- من خلال توزيع البوابات الرئيسية للقصر وتوزيع الساحات العامة يظهر لنا الالتزام بأحكام تقادي ضرر الصوت داخل القصر وداخل المساكن .
- اختلاف اتساع الشوارع دليل على احترام خصوصيات الفرد والجماعة
- تميز البيوت بواجهات خارجية صماء دليل على حرمة واحتشام الساكنة سواء خارج البيت أو داخله.
- تحيز الدكاكين والأسواق على حواشي القصر أو خارجه أحيانا هو نظام اجتماعي يمكن أن يقلل من الفوضى والازدحام داخل القصر.
- توزيع مياه القصر كان خاضعا لنظام حسابي مضبوط بين السكان.
- نظام التراص في البيوت السكنية هو أيضا دليل على روح الجماعة وترابطها وترابطها وهو من أهم قيم المجتمع المسلم.
- تقادي علو الجدران بين الجيران، هو أيضا نظام مفروض ضمن فقه العمران ويبين الالتزام بتقادي ضرر الكشف.
- عدم توجيه الميازيب صوب سطح الجار لتقادي المضرة.

خاتمة

وختاما يمكننا القول أن القصر الصحراوي يعتبر عملا حضاريا شكلته يد الإنسان رغم أنه خضع لقيود المحيط الطبيعي الجغرافي المتمثل في البيئة الصحراوية القاسية، والتزم فيه المعماري بتعاليم المحيط الفكري للمجتمع الصحراوي الذي تحكمه مجموعة من العادات والأعراف المستمدة من تعاليم الدين الإسلامي، وكذلك اجتهد في بناءه المعماري بوسائل بسيطة وتقنيات مكنته من التكيف مع هذه البيئة، فهو عموما نموذج للمدينة الإسلامية الصحراوية التي لم تكن بمنأى عن الأحداث السياسية والاجتماعية السائدة في غيره، بل إن كثيرا من القصور الصحراوية كانت مراكز إشعاع علمي وحضاري، ومنها ما كان مركزا سياسيا أدى دورا رياديا في بعض الأحداث، بالإضافة إلى ماكان منها محطات لقوافل الحجيج والتجارة، وأكثر ما قدمته القصور الصحراوية أنها جعلت هذه الصحراء المترامية الأطراف تعج بالحركة وتنب الحياة فيها بعد أن كانت قفارا، فالقصور الصحراوية تراث معماري وفني يجب المحافظة عليه وإعادة الاعتبار له، بل واستغلاله في أفق السياحة.

3. المراجع البيبليوغرافية

- الطاهر طویل، عمارة القصور ببلاد المغرب، قراءة في التطور التاريخي في العصر الوسيط، أشغال الملتقى الوطني قصور الأطلس الصحراوي - تأثير متطلبات التحديث والحفاظ على الموروث المعماري والثقافي، 27 أكتوبر 2021، مخبر التمكين الاجتماعي والتنمية المستدامة في البيئة الصحراوية، جامعة الأغواط.
- حسن فتحي، العمارة والبيئة، دار المعارف، القاهرة.
- حسام الدين عمر بن عبد العزيز بن مازة البخاري، كتاب الحيطان، تحقيق: عبد الله نذير أحمد مزي، المكتبة المكية، مؤسسة الريان - ناشرون -، بيروت، ط01، 2014.
- ربيعة سويقات، خصائص العمارة التقليدية الصحراوية، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية.
- لعمودي التجاني، الاستدامة في العمارة الصحراوية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي: تحولات المدينة الصحراوية - تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسة الحضارية.
- عليق ريحة، قصر ملوكة، رسالة الماجستير، جامعة الجزائر، 2001-2002.
- عبد الباسط هويدي، فتحة زايد، التراث العمراني الصحراوي والهوية الثقافية للقصر العتيق بمدينة ورقلة، مقاربة سوسيو ثقافية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الملتقى الدولي: الدراسات التاريخية والمعالم الأثرية القديمة.
- شويشي زهية، مجتمع القصور - دراسة في الخصائص الاجتماعية والعمرانية والثقافية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005/2006.
- هبول حنان، إعادة تأهيل القصور الصحراوية "قصر عين ماضي نموذجا" مدرسة الدكتوراه: الإنسان والمحيط: دراسة أثرية وقياسية، جامعة الجزائر 02، 2010-2011.